



السنه الثانيه والثلاثون

توزع - ايلول ١٩٣٤

## رسالة

# في معرفة النفس الناطقة واحوالها

لاي علي بن سينا\*

شرحا وعلق عليها

محمد ثابت الفندي

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (القاهرة)

## مقدمة الناشر

زالت دراسة ابن سينا تشع للكثير من الجهود الموثقة ، رغم ما نشر له من المصنفات وما كتب عنه من الكتب والمقالات . ولعل أولى تلك الجهود بالتقديم ما انصرف الى إحياء مؤلفاته التي لم تنشر بعد ، والتي ما برحت مبعثرة هنا وهناك في مختلف مكبات الشرق

\* المشرق - تنشر هذه الرسالة لما لها من المكانة التاريخية والفلسفية . كما ما يتخلل معانيها من الاضاليل للاشكل على القارئ اللبيب تشبيده .

والقرب. فجمع تلك المؤلفات وطبعتها طبعةً علميةً أمرٌ يحسُّ ضرورته كل من حاول أن يدرس هذا الفيلسوف ، فألم بأنباء كسبه وعرف ما بقي منها على قيد الحياة وما تصرفت به أحداث الزمان ، وما طبع من ذلك الباقي وما لم يطبع بعد .

قدّمنا هذا بعد أن عكفنا على دراسة هذا الفيلسوف أعواماً عدّة وأحصينا مؤلفاته في ثبث جامع<sup>(١)</sup> ، وتلّسنا حياته وفلسفته في كل مظانها ، فلم نتردد بعد هذا كله وإلاّ يقيناً بنقص تلك الدراسة لكثرة ما له من الكتب وأجزاء الكتب المخطوطة التي لم تمسها يد ناشر بعد . لذلك صحت منا الفزعة على أن ننشر ما وقع إلينا من مؤلفاته أثناء دراستنا له<sup>(٢)</sup> قبل الإقدام على إذاعة نتائج تلك الدراسة . ومن هذه المؤلفات « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها » . أغفلت ذكرها المراجع الاسلامية القريبة لمهده ، فلم يذكرها فيما ذكر له من الكتب : ابن القفطي ، وابن أبي أصيبعة ، والسرقتدي<sup>(٣)</sup> ، وظهير الدين البيهقي<sup>(٤)</sup> ، وأحمد بن محمد الشهرزوري<sup>(٥)</sup> ، وابن خلكان . وأول من أشار إليها من مؤلفي الاسلام حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » ، ولم يذكرها بإسهاب بل اكتفى بأن قال : « . . . وله رسالة حررها في عام النفس وجعلها ثلاثة فصول أولها : الحمد لله الذي لا يجيب من بابه أمل »<sup>(٦)</sup> . وذكرها من مؤلفي اوروبة بروكلان بعنوان « رسالة في النفس الناطقة وأحوالها »<sup>(٧)</sup> . وأشار الى انها توجد في برلين برقم ٥٣٤٢ . ولقد عثرت ، بعد البحث الطويل بين بضعة

(١) سيُنشر عما قريب في القاهرة .

(٢) من ام هذه المؤلفات : المباحث ، المحجوع ، الموسوم (جزء من الشفا) ، الرد على المنجسين ، النفس ، السمريات ، بعض كتاب الإنصاف ، ورسائل أخرى صغيرة .

(٣) نظامي عروضي السرقتدي : جواهر مقاله ، الترجمة الانجليزية ، سلسلة جيب التذكارية ، انظر مواضع مختلفة .

(٤) له كتاب في تاريخ حكماء الاسلام :

مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ تاريخ .

(٥) له كتاب في تاريخ الحكماء هو « روضة الانوار » مخطوط بكتبة الجامعة المصرية

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون . طبعة بولان ١٠ : ٢٥٢ . ص ١-٢

(٧) Brockelmann, *Gesch. d. ar. Lit.* II, 454

آلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التي نُصِت إلى مكتبة الجامعة المصرية من مكتبة المرحوم محمد طامت بك ، على نسختين من هذه الرسالة : إحداهما كاملة مستقلة مكتوبة بخط فارسي واضح جميل ، عنوانها مخالف بعض المخالفة لما ذكره بروكلمان وهو « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها »<sup>١</sup> ، والأخرى ناقصة وتوجد ضمن مجموعة خطية من الرسائل في نفس المكتبة<sup>٢</sup> .

كذلك توجد بدار الكتب المصرية صورة فوتوغرافية من نسخة برلين . فلما اكتملت لي هذه النسخ الثلاث رأيت أن أعد هذه الرسالة للنشر بعد

المقارنة والتصحيح . وقد رمزت لها على الترتيب بالحروف : ب ، ج ، د .

وليس في هذه الرسالة ما يدل على تاريخ تأليفها ، غير أن الناظر في كتب ابن سينا المختلفة قد يستطيع القول بأنها من أوائل تصانيفه ، ولما ترجع إلى أيامه الأخيرة ببخارى (عاش بها إلى ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م ، وكان قد وُلد عام ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م) أو على الأكثر إلى أيامه بكركانج عاصمة خوارزم (من ٣٩١ هـ = ١٠٠١ م إلى ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م) . لأنها تحمل في ثناياها « بذور » بعض براهينه على مغايرة جوهر النفس لجوهر البدن ، تلك البذور التي نجدها فيما بعد مترعة نامية في كتبه المتأخرة كالشفا . والاشارات مثلاً . فالبرهان الثاني في هذه الرسالة هو في الواقع الثالث من براهينه في كتاب الشفاء<sup>٣</sup> (مع تفاوت واضح) لأن مؤداهما واحد هو إيجاد حالة نفسية تغفل فيها النفس تماماً عن كل ما هو بدني فلا تشعر إلا بانيتها الحاصلة ، فإذا وصلت إلى ذلك استطاعت أن تدرك إن جوهرها منابر لجوهر البدن<sup>٤</sup> .

(١) انظر المخطوط رقم ١١٧٧٦ بمكتبة الجامعة المصرية ، ص ١

(٢) انظر المخطوط رقم ١/١٣٠٠١ بنفس المكتبة .

(٣) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، المقالة الخامسة ، الفصل السابع ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤

(٤) ابن سينا : الشفاء ، النفس ، م ٥ ، ف ٧ ، ص ٢٦٢ ؛ وقد ذكر هذا البرهان أيضاً في موضع متقدم من الشفاء ، انظر النفس ، م ١ ، ف ١ ، ص ٢٨١ ، ص ٢٢ وما بعده . ولم يذكره في الشجاة ولكنه ذكره في الاشارات ، انظر طبعة ليدن ١٨٩٢ ، ص ١١٦ . وقد أثبت العلامة فورلاني Furlani أن النصين الواردين في الشفاء عن هذا البرهان كان قد نقلهما إلى اللاتينية الفيلسوف غليوم اوثرني Auvergne ، وذمب هذا العلامة ، إلى

والبرهان الثالث في هذه الرسالة هو أيضاً الاول في الشفا.<sup>(١)</sup> وموذاهما هو ضرورة وجود مبدأ واحد تجتمع فيه المدركات على اختلافها : ظاهرة وباطنة. أما برهانه الاول في هذه الرسالة فلم نعتز له على نظير صريح في كُتبه الاخرى<sup>(٢)</sup> مما يجعل لهذه الرسالة قيمة خاصة في نظرنا. وسنشير في التعليقات على هذه الرسالة الى المواضيع التي يمكن أن يرجع إليها في كُتبه الاخرى كلما دعت الحاجة. وبها هوذا نص الرسالة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة

## في معرفة النفس الناطقة واهوالها

لأبي علي بن سينا

الحمد لله الذي لا يُجيب من بابهِ أمل ، ولا يُجرم عن جنابه عامل ، ولا يُجيب العارفين عن ورود مناهل مشاهدة أنوار جلاله مانعٌ وحائل ، ولم يمنع المشاقين للقائه عن الصعود من حضيض الفراق الى أوج الرصال ناقص

إمكان اطلاع ديكارت على هذه الترجمة للشبه الفوي بين برهان ابن سينا المذكور وكلام ديكارت في التمييز بين الجسم والنفس (مقال *Avicenna Cartesio, Il Cogito, Ergo Sum* في مجلة *Islamica* ، ج ١ ، ص ٣٠١ ، ص ٥٣ وما بعدها ، ليك ١٩٢٧).

(١) الشفاء ، النفس ، م ٥٠ ، ف ٥٧ ، ص ٢٦٢

(٢) قد أورد ابن سينا براهين أخرى على مناصرة جوهر النفس لجوهر البدن في رسالة صغيرة عنوانها « النفس » أسماها براهين المناطقة (انظر النفس ، مخطوط رقم ٣٩٧ قلفه بدار الكتب المصرية ، الفصل الثامن).

أو كامل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص  
لمشاهدة جلاله سره ، وعرض في منازل " التوحيد على أعين النظار سيره ،  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عقد على أجياد أرواح الأبرار فلائذ  
الاسرار ، فضلوات الله عليه وعلى آله الأختيار. وبعد فهذه رسالة حررتها في علم  
النفس ، وجعلتها ثلاثة فصول :

الفصل الاول في إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن.

الفصل الثاني في بقاء النفس بعد فنا البدن.

الفصل الثالث في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد مفارقة النفس  
عن " البدن.

ثم أختت بها خاتمة أذكر فيها العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل ، وعالم  
النفس ، وعالم الجسم " ، وترتيب الوجود من لدن " الحق الاول الى أقصى  
مراتب الموجودات على الترتيب النازل من عنده تعالى ، ليكون الناظر في  
هذه الرسالة مطلقاً على جبل من أجناس المخلوقات وشطر من أنواعها ، فأهديت " <sup>(١)</sup>  
هذه الرسالة التي هي مشتتة على أهم المطالب وهو معرفة الانسان نفسه وما  
يؤول اليه حاله بعد الارتقاء. " ، وأيضاً فإن معرفة النفس سرقة الى معرفة الرب  
تعالى كما أشار اليه قائل الحق بقوله : « من عرف نفسه فقد عرف ربه . » <sup>(٢)</sup>

(١) في حج : منزله. في ر : ياش.

(٢) في حج : عن ناقصة.

(٣) في حج : المادة بدل الجسم.

(٤) في ر : لدى بدل لدن.

(٥) في ب و ر : فأهديته واحديته (على الترتيب).

(٦) في ب : « جذا » بدل الارتقاء.

(٧) هذا حديث في بعض المراجع ، قال كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة  
المراتب » : « قال السعفي إنه لا يعرف مرفوعاً. وقال النووي ليس بحديث ، ونسبه بعضهم  
الى ابي سعيد الخراسي ، وبضمهم ال يحيى بن معاذ الرازي » اه. وقد نسبه ابن سينا نفسه الى علي  
ابن ابي طالب ، وذلك في كتاب « المباحثات » الذي جمعه عنه تلميذه كياريس ، انظر  
المباحثات ، مخطوط بالناصرة رقم ٣٩٢ ، ص ١

ولو كان المراد بالنفس في هذا الحديث هو<sup>١١</sup> هذا الجسم لكان كل أحد عارفا بربه ، اعنى خصوص معرفة ، وليس كذلك ، فهذه الرسالة تهديك الى الاسرار المخزونة في عالم النفس الذي<sup>١٢</sup> غفل عنه الدهماء من الناس بل أكثر العلماء عنه غافلون . ولهذا أوحى الى رسول الله لما سئل عن حقيقة الروح « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي » ، ثم قال عتيبه : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »<sup>١٣</sup> تنبيهها على أكثر الناس عن النفس وحقيقة الروح . فهذا هو الاشارة المختصرة الى فوائد هذه الرسالة . فلتشرع فيما ذكر من الفصول بتوفيق الله وحسن هدايته :

### الفصل الاول

#### في إثبات أن جوهر النفس مغاير لجوهر البدن

فتقول : المراد بالنفس ما يشير اليه كل أحد بقوله « أنا » ، وقد اختلف أهل العالم<sup>١٤</sup> في أن المشار اليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره . أما الأول فقد ظن<sup>١٥</sup> أكثر الناس وكثير من المتكلمين<sup>١٦</sup> أن الانسان هو هذا البدن ، وكل أحد فإنما يشير اليه بقوله « أنا » ، فهذا ظن فاسد لما سنبينه .

١١ في ب و ج : دور .

١٢ في ج : النبي .

١٣ الآية ١٥ من سورة الاسراء ، ص ٢٧٦ من مصحف الملك .

١٤ في ب : العلم .

١٥ في ب : « ا » « مد ظن » .

١٦ نعت اقطار المتكلمين في النفس نحو ما بدأ في معظم الاحيان ، ولم يثذ عن هذا المترادف انفسهم اذ نجد حتى زعمائهم كأبي اسحق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام ( † ٢٣١ هـ = ٨٣٦ م ) يذهب الى ان الانسان هو الروح وهي جسمانية ( الاشمري : مقالات الاسلاميين واختلاف المذاهب ، طبعة ريتز بالقسطنطينية ، ٢ : ٢٢١ ، ٢٢٢ ) ومنهم محمد بن عبد الوهاب ابن سلام الجبالي ( † ٣٠٣ = ٩١٥ م ) الذي يذهب كذلك الى ان الروح جسم ( المؤلف : ٢ : ٢٣٤ ) .

والقائلون بأذه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا : فمنهم من قال إنه غير جسم ولا جسماني بل هو جوهر روحاني فاض على<sup>(١)</sup> هذا القالب وأحياء واتخذة آله في اكنساب المعارف والعلوم حتى يستكمل جوهره بها ويصير عارفاً بربه عالمًا بمجائز معلوماته فيستمد بذلك للرجوع الى حضرة ويصير ملكاً من ملائكته في سعادة لا نهاية لها ، وهذا هو مذهب الحكماء الالهيين والعلماء الربانيين ، وواقعهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة ، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخهم عن أبدانهم واتصالهم بالانوار الالهية . ولنا في صحة هذا المذهب من حيث البحث والنظر براهين :

البرهان الاول :

تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً جميع عمرك حتى إنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك ، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك ، وبدنك وأجزائه ليس ثابتاً مستمراً بل هو أبدأ في التحلل والانتقاص ، ولهذا يحتاج الانسان الى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ، فإن البدن حار رطب ، والحار إذا أثر في الرطب تحلل جوهر الرطب حتى نفي بكيته كما لو<sup>(٢)</sup> يوقد عليه النار دائماً فإنه يتحلل الى أن لا يبقى منه شيء ، ولهذا لو حبس عن الانسان الغذاء مدة قليلة تزل<sup>(٣)</sup> وانتحر قريب من ربع بدنه ، فتعلم نفسك<sup>(٤)</sup> أن في مدة عشرين سنة لم يتبقى شيء من أجزاء بدنك، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة ، بل جميع عمرك ، فذاتك متغيرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة . فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب النيب ، فإن جوهر النفس غائب عن الحواس والادهام ، فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره في نفسه تصوراً حقيقياً فقد أدرك ما غاب عن غيره .

(١) « على » زائدة من الناصر .

(٢) في حج و : لو ناقصة .

(٣) في ب : زل بدل تزل .

(٤) في حج : نفساً .

## البرهان الثاني :

هو أن الانسان إذا كان متهماً في أمر من الأمور فإنه يستحضر ذاته حتى إنه يقول إني فعلت كذا أو فطنت<sup>(١)</sup> كذا ، وفي مثل هذه الحالة يكون غافلاً عن جميع أجزاء بدنه ، والمعلوم بالفعل غير ما هو منقول عنه ، فذات الانسان مغايرة للبدن .

## البرهان الثالث :

هو أن الانسان يقول أدركت الشيء الغلابي بصرى فاشتبهته أو غضبت منه ، وكذا يقول أخذت بيدي ، ومشيت برجلي ، وتكلمت بلساني، وسمعت بأذني ، وتفكرت في كذا وتوهمته وتخيّلته ؛ فنحن نعلم بالضرورة أن في<sup>(٢)</sup> الانسان شيئاً جامعاً لجميع<sup>(٣)</sup> هذه الادراكات ويجمع<sup>(٤)</sup> هذه الافعال ، ونعلم أيضاً بالضرورة أنه ليس شيء من أجزاء هذا البدن مجزئاً لهذه الادراكات والافعال ، فإنه لا يبصر بالاذن ولا يسمع بالبصر ولا يمشي باليد ولا يأخذ<sup>(٥)</sup> بالرجل ، ففيه شيء يجمع لجميع الادراكات والافعال الالهية ، فإذا ان الانسان الذي يشير الى نفسه « بآنا » مغاير لجملة أجزاء البدن ، فهو شيء وراء البدن . ثم نقول إن هذا الشيء الذي إنه هوية الانسان ومغاير لهذه الجملة لا يمكن أن يكون جسماً ولا جسمانياً ، لأنه لو كان كذلك لكان أيضاً متحلاً سيالاً قابلاً للكون والفساد بمنزلة هذا البدن فلم يكن باقياً من أول عمره الى آخره ، فهو إذن جوهر فرد روحي ، بل هو نور فانض على هذا القالب المحسوس بسبب استعداده وهو المزاج الانساني . والى هذا المعنى أشير في الكتاب الالهي بقوله : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحي »<sup>(٦)</sup> ، فالسوية هو جعل البدن بأثر الجاني

(١) في كل النسخ : فعل .

(٢) في كل النسخ : في أن .

(٣) في ب : يجمع بدل يجمع .

(٤) في ب : ويجمع بدل ويجمع .

(٥) في كل النسخ : تأخذ بدل يأخذ .

(٦) الآية ٢٩ من سورة الحجر ، ص ٢٤٠ من مدحف الملك ؛ والآية ٢٢ من سورة

الزمر ، ص ٦٠٤ من المصحف تف .

مستعدا لان تعلق به<sup>(١)</sup> النفس الناطقة ، وقوله « من روجى » إضافة لها إلى نفسه لكونها جوهرًا روحانيًا غير جسم ولا جسماني .  
فهذا ما أردنا أن نذكره في هذا الفصل .

### الفصل الثاني

#### في بقاء النفس بعد بوار البدن<sup>(٢)</sup>

اعلم أن الجوهر الذي هو الإنسان في الحقيقة لا يبقى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق لبقاء خالقه تعالى ، وذلك لان جوهره أقوى من جوهر البدن لانه محرك هذا البدن ومدبره ومتصرف فيه ، والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذا<sup>(٣)</sup> لم يضر مفارقتة عن الابدان وجردة ، إذ<sup>(٤)</sup> البدن موجود باق بعد الموت فلأن لا يضر وجود النفس وبقاؤه كان أولى ولأن النفس من مقولة الجوهر ، ومقارنته مع البدن من مقولة المضاف ، والاضافة أضف الاعراض لانه لا يتم وجودها بوضوعها ، بل يحتاج الى شئ آخر وهو المضاف اليه ، فكيف يبطل الجوهر القائم بنفسه يبطلان أضف الاعراض المحتاج اليه ، ومثاله أن من يكون مالكاً لشيء متصرفاً فيه فإذا بطل ذلك الشيء لم يبطل المالك يبطلانه ، ولهذا فإن الإنسان إذا نام بطلت<sup>(٥)</sup> عنه الحواس والادراكات وصار ملقياً كالميت ، فالبدن النائم في حالة شبيهة بحال الموتي كما قال رسول الله عليه السلام : « النوم أخو الموت »<sup>(٦)</sup> . ثم إن الإنسان في نومه يرى الاشياء ويسمعا بل يدرك التيب في المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة ،

(١) في ج : « به » ناقصة .

(٢) راجع عن هذا الموضوع كتاب « النجاة » ، ص ٢٠٢ وما بعدها من طبعة القاهرة

١٣٣١ .

(٣) في ب : فاذا بدل فاذا . وفي ر : فان بدل فاذا .

(٤) في ر : فان بدل إذ .

(٥) في ر : بطل بدل بطلت .

(٦) لم اعثر عليه في كتب الحديث ولا في كتب الموضوعات .

فذلك برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج الى هذا البدن ، بل هو يصف بمقارنة البدن ويتقوى بتمطله ، فإذا مات البدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن ، فإذا كان كاملاً بالعلم والحكمة والعمل الصالح انجذب الى الانوار الالهية وانوار الملائكة والملائ الأعلی المنجذب إبرة الى جبل عظيم من المناطيس وفاضت عليه السكينة ورحمت له الطمأنينة<sup>(١)</sup> فنودى من الملائ الأعلی : « يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »<sup>(٢)</sup>.

### الفصل الثالث

في مراتب النفوس في السعادة والشقاوة بعد المفارقة عن الأبدان<sup>(٣)</sup>

إعلم أن النفس الانسانية لا تخلو<sup>(٤)</sup> عن ثلاثة أقسام : لانها إما أن تكون كاملة في العلم والعمل ، وإما أن تكون ناقصة فيها ، وإما أن تكون كاملة في أحدهما ناقصة في الآخر<sup>(٥)</sup> . وهذا القسم الثالث على قسمين : لانها إما أن تكون كاملة في العلم ناقصة في العمل أو بالعكس . فتكون أصناف النفوس بحسب القسة الأولى ثلاثة كما ورد في القرآن : « وكنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة » ثم قال « والسابقون السابقون أولئك المقربون . »<sup>(٦)</sup> فنقول أما الكاملون في العلم والعمل فهم السابقون ولهم الدرجة القصوى في جنات

(١) في حج : طمأنينة بدل الطمأنينة .

(٢) الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ من سورة النحر ، ص ٨٠٧ من مصحف الملك .

(٣) في ر : البدن بدل الإبدان . وللإستعادة من هذا الفصل يمكن الرجوع الى النتيجة

ص ٤٧٧ - ٤٩٠

(٤) في حج ورو : يخلو بدل تخلو .

(٥) في بب : الاخرى بدل الآخر .

(٦) الآيات : ٢ و٨ و٩ و١٠ و١١ من سورة الواقعة ، ص ٧١٣-٧١٤ من مصحف

النعم فيلتحقون من المراتم الثلاثة بعالم العقول ويتزهون أن يقارنوا درن  
الاجسام ونفوس الافلاك مع جلالة قدرها ، فهؤلاء هم السابقون الذين هم في  
المرتبة العليا . وأصحاب اليمين وهم في المرتبة الوسطى يرتفعون عن عالم  
الاستحالة<sup>(١)</sup> ويتصلون بنفوس الافلاك ويتطهرون عن دنس عالم العناصر  
ويشاهدون النعم الذي خلقه الله تعالى في السموات من الحور العين<sup>(٢)</sup> وألوان  
الاطعمة اللذيذة وألحان الطيور التي تقصر أوصاف الواصفين عن ذكرها وشرحها  
كما قال عليه السلام حكاية عن ربه : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين  
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »<sup>(٣)</sup> فهذه مرتبة المتوسطين من  
الناس . ولا يبعد ان يتأدى أمرهم الى أن يستعدوا للفوز بوصول الدرجة العليا  
فينغمسوا في اللذات الحقيقية واصلين الى السابقين بمدد انقضاء دهور تأتي<sup>(٤)</sup>  
عليهم ، فهذه مرتبة أصحاب الشمال وهم النازلون في المرتبة السفلى ،<sup>(٥)</sup> المنغمسون  
في مجور الظلمات الطبيعية ، المنتكسون في قعر الاجرام العنصرية ، المنتحسون  
في دار البوار ، وهم الذين « دعوا هنالك ثبوراً<sup>(٦)</sup> لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً<sup>(٧)</sup>  
وادعوا ثبوراً كثيراً<sup>(٨)</sup> »

فهذا<sup>(٩)</sup> شرح أحوال الارواح البشرية بعد المفارقة عن الاجسام والمهاجرة الى  
دار الآخرة ، وقد اتفق على صحتها الوحي الالهي والآراء الحكيمية كما  
شرحناه .

(١) الاستحالة من حال بمعنى تبدل وتغير ، وليست بمعنى الاستناع .

(٢) في ب : والعين بدل العين .

(٣) هذا من الاحاديث المنفق على صحتها ، رواه البخاري في كتاب بدء الخلق ، الباب  
الثامن ، ورواه مسلم في كتاب الجنة ، وكذا الترمذي وابن ماجه واحمد في مسنده .

(٤) في كل النسخ : يأتي بدل تأتي .

(٥) في ب : « قَهُم » قبل « المنغمسون » .

(٦) آخر الآية ١٢ من سورة الفرقان ، وهي : « واذا القوا منها مكانا ضيقاً مقرنين  
دعوا هنالك ثبوراً » .

(٧) الآية ١٤ من سورة الفرقان .

(٨) في ب وحج : فهذه بدل فهذا .

## فانحة الرسائل

في ذكر العوالم الثلاثة التي هي عالم العقل وعالم النفس وعالم الجسم<sup>١١</sup> وترتيب الوجود من لدن الحق تعالى الى أقصى مراتب الموجودات على الترتيب النازل منه تعالى ، فنقول :

إن أول ما خلق الله تعالى جوهر روحاني هو نور محض قائم لا في جسم ولا في مادة ، ذاك لذاته وخالقه<sup>١٢</sup> تعالى ، هو عقل محض ، وقد اتفق على صحة هذا جميع الحكماء. الالهيين والانياء عليهم السلام كما قال صلعم : « أول ما خلق الله تعالى العقل ، ثم قال له [أتقبل فاقبل ، ثم قال له] ادبر فأدبر ، ثم قال فبمزي وجلالى ما خلقت خلقاً أعز منك فبك أعطى وبك آخذ وبك أتيب وبك أعاقب »<sup>١٣</sup> ، فنقول هذا العقل له ثلاثة<sup>١٤</sup> تعقلات :

احدها أنه يعقل خالقه تعالى

والثاني أنه يعقل ذاته واجبة بالاول تعالى

والثالث أنه يعقل كونه ممكننا لذاته<sup>١٥</sup> .

(١) هذا الترتيب الثلاثي باسمه وسماه من الافلاطونية الجديدة Néoplatonisme ، واصله قد وصل فيلسوفنا عن طريق رسائل اخوان الصفا التي قرأها في سنة ١٠٠٠هـ اسير البهنري : تاريخ حكماء الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٣٦٦٦ تاريخ ، ص (١٠١) او عن شروح فلاسفة تلك المدرسة على كتب ارسطو .

(٢) في ب : وبخالقه .

(٣) هذه الفقرة نائمة في ب وج .

(٤) روى هذا الحديث عبدالله بن احمد في زوائد المسند عن الحسن مرفوعاً باستاد جيد ؛ واخرجه الطبراني في الكبير والاول ، وكذلك ابو نعيم باستادين ضيعين ؛ واعتبره القاري وابن تيمية وغيرهما من الاحاديث الموضوعة ، وبشبه ان يكون الاركان كذلك لعلته الوثيقة بنظرية صدور العالم عن العقل الاول وبواسطة هذا العقل بين الله وأهلام التي ابتدعتها الفلسفة الافلاطونية الجديدة لتفسير وتليل فيضان الكثرة عن الوحدة المطلقة .

(٥) في ب وج : ثلاث بدل ثلاثة .

(٦) هذه هي المبادئ الثلاثة التي اعتمد عليها فلاسفة الاسلام في تفسير صدور الكثرة

فحصل من تعقله خالقه عقل<sup>١</sup> هو أيضا جوهر<sup>٢</sup> عقل آخر، كحصول السراج من سراج آخر.

وحصل<sup>٣</sup> من تعقله ذاته واجبة بالاول نفس<sup>٤</sup>، هي<sup>٥</sup> أيضا جوهر روحاني كالعقل، إلا أنه في الترتيب دونه.

وحصل من تعقله<sup>٦</sup> ذاته بمكنة لذاته جوهر<sup>٧</sup> جسماني هو الفلك الاقصى<sup>٨</sup>، وهو العرش بلسان الشرع<sup>٩</sup>

فتملقت تلك النفس بذلك الجسم، فذلك النفس هي النفس الكلية المحركة للفلك الاقصى كما تحرك<sup>١٠</sup> نفسنا جسمنا. وتلك الحركة شوقية بها تتحرك<sup>١١</sup> النفس الكلية الفلكية شوقا وعشقا الى العقل الاول، وهو<sup>١٢</sup> المخلوق الاول، فصار العقل الاول عقلا للفلك الاقصى ومطاعا<sup>١٣</sup> له. ثم حصل من العقل الثاني عقل ونفس وجسم : فالجسم هو الفلك الثاني وهو فلك الثوابت، وهو الكرسي بلسان الشرع وتملقت النفس الثانية بهذا الفلك.

عن الوحدة، وهي كما ترى تجمل الكثير يبدأ بالعقل الاول من جهة اختلاف تعقلاته وهي :

١ تعقله هـ. ٢ تعقله أنه واجب بوجوده انه. ٣ تعقله انه ممكن لذاته.

(١) في كل النسخ : حصل بدل حصلت، لان النفس مؤنثة كما في لسان العرب.

(٢) في كل النسخ : هو بدل هو.

(٣) في و : نقل بدل تعقله.

(٤) في ب : الاطنس بدل اوقسى.

(٥) الى هنا ينتهي ما فاض من العقل الاول تيمنا باختلاف تعقلاته المشار اليها في المبادئ الثلاثة.

(٦) في كل النسخ : يحرك بدل تحرك.

(٧) في كل النسخ : يتحرك بدل تحرك.

(٨) في كل النسخ : هو بدل وهو.

(٩) لم يبق ان عثرنا على هذا اللفظ في كتب ابن سينا الاخرى، وقد ورد في بعض كتب ابي حاسد المرادي واثار اشكاب في معرفة مدلوله، بيد انه هنا واضح المدلول لانه يطلق على العقل الاول، فان ابن سينا يريد ان يقول ان النفس الاول يحرك جرم الفلك الاقصى لا كما تحرك العلة الفاعلة بل كما تحرك العلة الغائية، لذلك وصف تلك الحركة بانها شوقية عشوية، والمشوق « مطاع » من عاقته وليس فاعلا للمشق او الحركة، كما لا ينبغي.

وهكذا حدث من كل عقل ونفس وجسم ، الى أن يتهى الى العقل العاشر ، ثم حصل منه العالم العنصرى . والعناصر أربعة : الماء والنار والهواء والارض ، وحصلت منها المرالييد الثلاثة وهى المعادن والنبات والحيوان والانسان الذى هو اكمل الحيوانات وهو بنفسه يشبه الملائكة ، ويمكن أن يبقى بقاء السمرد إذا تشبه<sup>(١)</sup> بها فى العلم والسبل ، ويصير هو أيضاً أخس<sup>(٢)</sup> من البهائم والباع إذا اتصف بأخلاقها داخل الارض واتبع هواءه وكان أمره فوطاً . وأما إذا تفرغ عن طرفى الإفراط والتفريط فى الاخلاق وتوسط بينهما فلم يكن شياً ولا حاملاً فى القوة الشهوانية بل يكون عفيفاً ، فان العفة توسط الشهوة ، ولا يكون أيضاً متهوراً ولا جباناً بل يكون شجاعاً ، كسب القوة النفسية ، فإن الشجاعة تتوسط<sup>(٣)</sup> بين التهور والجبانة ، وكذلك له حكمة فى المعيشة ، وهى<sup>(٤)</sup> حُسن التدبير فيما بينه وبين غيره إما بحسب أهل منزله الخاص وهو يتم بين زوج وزوجة ووالد ومولود ومالك ومملوك ، وإما بحسب أهل المدينة فى المعاملات وفى السياسات إن كانت<sup>(٥)</sup> له رتبة فى السياسة ، وهذه الحكمة تتوسط فى تدبير نفسه وغيره دون الجزئية<sup>(٦)</sup> والبلاهة . وهذه الحكمة غير الحكمة التى هى العلم بالحقائق فإن تلك الحكمة كلما كانت أشد إفراطاً كان أحسن ، وهذه الحكمة لا ينبغي أن تكون بالإفراط وإلا لكانت جريرة ، ولا بالتفريط وإلا لكانت بلاهة .

وهذه الحُصائل الثلاث أعنى العفة والشجاعة والحكمة هى التى سميت<sup>(٧)</sup> «عذالة» ، فالعذالة هى مجموع هذه الثلاث ، فمن اتصف بها وكان أيضاً حكيماً

(١) فى حج : شبه بدل تشبه .

(٢) فى كل النسخ : احسن بدل أخس كما يقتضيه سياق الكلام .

(٣) فى ب وج : يتوسط بدل تتوسط .

(٤) فى كل النسخ : هو بدل هى وذلك لان السياق يقتضى ان يكون العائد «حكمة» .

(٥) فى كل النسخ : كان بدل كانت ، والعائد رتبة .

(٦) « الجزئية الحسب من الرجال وهو دُخيل ، ورجل جُرير (بالضم) بين الجزئية

(بالفتح) ، اي حسب ، قال وهو الفُرير أيضاً ، وهما مربان « (اللسان ٢ : ١٨٢) .

(٧) فى كل النسخ : سسى بدل سميت .

بالحكمة النظرية التي هي العلم بمقتضى الاشياء ، فقد صار كاملا في العلم والعمل  
وصار من جملة من قيل في حقهم : « السابقون السابقون أولئك المقربون في  
جنات النعيم »<sup>١</sup>

وإن قلت فهل يمكن أن تمد الحكمة النظرية تحديدا لا يمكن أن يكون  
أقل منه حتى تسعد<sup>٢</sup> بها<sup>٣</sup> النفس تلك السعادة فيكون من السابقين المذكورين؟  
قلت يمكن ذلك التحديد بالتقرير فنقول :

ينبغي أن يكون عالما بوجود واجب الوجود تعالى وصفات جلاله ونصوت  
كماله ورتبته عن التشبيه ، ويتصور عنايته بالمخلوقات وإحاطة علمه بالكائنات  
وشمول قدرته على جميع المقدرات [ ثم يعلم أن وجوده يتدى من عنده ساريا  
الى الجواهر العقلية ثم الى النفوس الروحانية الفلكية ثم الى الاجسام الضمنية  
بساكنها ومركباتها من المعادن ]<sup>٤</sup> والنبات والحيوان ثم يتصور جوهر النفس  
الانسانية وأوصافها وأنها ليست بحجم ولا جسمانية وأنها باقية بعد خراب البدن  
إما منعمة وإما معذبة . فهذا القدر من العلم مُجْمَلٌ وَمُقْتَضًاهُ<sup>٥</sup> هو القدر الذي  
إذا حصل للانسان استشهد بالسعادة التي شرحنا حالها أعنى سعادة السابقين  
الكاملين . ويتدر ما ينتقص علمه وعمله انتقص من درجاته وقربه من الله  
تعالى . وأما الذين قد انحطت رتبهم عن درجة هؤلاء الكاملين علما وعملا  
وهم المتوسطون فيكونون إما كاملين في العمل دون العلم أو بالعكس فهم  
يكونون محجورين عن العالم العلوي مدة حتى تنفخ<sup>٦</sup> عنهم تلك الهيئات الظلمانية  
بتلك الاعمال الرديئة التي كانوا يعملونها في حياتهم الدنيا ، وتتقرر الهيئة التردية

(١) الآية ١٠ و ١١ و ١٢ من سورة الواقعة ؛ ص ٧١٢-٧١٤ من مصحف الملك .

(٢) في ب : يستمد .

(٣) في كل النسخ : به بدل جا ، والمائد الحكمة النظرية .

(٤) هذه الفقرة ناقصة من ج .

(٥) في كل النسخ : مجلة ومفصلة بدل مجله ومفصله .

(٦) في كل النسخ : ينفخ بدل تنفخ .

قليلًا قليلًا فيتخلصوا الى عالم القدس والطهارة<sup>(١)</sup> ويلتحقوا بهؤلاء السابقين<sup>(٢)</sup>.  
وأما الكاملون في الطم دون العمل من القسمين المتوسطين وهم المنتزهون من  
أهل الشرائع الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويتبعون  
الانبياء فيما أمروا به ونهوا عنه ولكن لا تكون لهم زيادة ببط من حقائق  
العلوم ولا يعرفون أسرارها والأسرار والتزييلات الالهية وتأويلاتها فهم إذا  
تخلصوا عن أبدانهم المنجذبت نفوسهم الى نفوس الافلاك وعرجوا الى السموات  
فشاهدوا جميع ما قيل لهم في الدنيا من أوصاف الجنة في غاية الشرف والرتبة  
يلبسون فيها من سندس واستبرق وحاراً أساور من فضة متكئين فيها على  
الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زهريراً، ولكن لا يمد أن يقضى بهم الامر  
الى أن يرتقوا الى العالم العقلي والصنع الالهى فينفسوا في اللذات الحقيقة التي  
لا يمكن أن<sup>(٣)</sup> يشرحها بيان ولا يكشف عنها مقال ولا يوازنها حال. واذ قد  
وصلنا الى هذا المقام وكشفنا هذه الاسرار التي عميت عنها ابصار أكثر الناس  
وغفلوا عن أنفسهم وأحوالهم على الحقيقة، فلنكشف بهذا القدر من الاستبصار  
للطالبين المسترشدين، جعلنا الله وإياكم من المهتدين إنه هو البر الرحيم، وصلى  
الله على سيدنا محمد وآله والطاهرين آجدين.

تمت الرسالة الشريفة في النفس الناطقة بتوفيق الله وبأمن جوده وكرمه.

(١) في ج : والطهارة واظنها والطهارة.

(٢) الى هنا تنتمي نسخة ج.

(٣) في ب : أن ناقصة.

